تمهيد

النثر: تحديده وأقسامه[1]

النثر هو الكلام الصحيح المعبر عن الفكر والعاطفة، من غير أن يتقيد بوزن وقافية، وهو نوعان:

أ - مسجوع، وهو ما تواطأت فاصلتاه على حرف واحد، أي ما التزم فيه المتكلم، أو الكاتب حرفاً في نهاية جملة أو فقرة. كقول قس بن ساعدة الإيادي. "أيها الناس.! اسمعوا وعوا، وإذا سمعتم شيئاً فانتفعوا، إنه من عاش مات! ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، نجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة".

ب - ونثر مرسل، أي غير مسجوع، وهو ما لم تتواطأ فاصلتاه على حرف واحد، كقول أكثم بن صيفي في خطبة تنسب إليه:

"الحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء، إصلاح فساد الرعية، خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته، كان كالغاصّ بالماء".

أقسام النثر:

١ - خطب ٢ - أمثال وحكم ٣ - رسائل

الخطابة في صدر الإسلام[2]

ارتقت الخطابة في صدر الإسلام، ونبغ في العرب عدد كبير من الخطباء، فقد كان الخلفاء الراشدون كلهم خطباء، أما الرسول - صلى الله عليه وسلم - فسيد الخطباء بلا منازع، ونبغ في العصر الأموي الذي هو قسم من صدر الإسلام، جماعة من مشاهير الخطباء. وسر ارتقاء الخطبة في هذه الحقبة الزمنية أنها أصبحت ضرورة من ضرورات العصر، لبث الآراء، ولنشر الدين الجديد.

وكانت أغراض الخطابة في هذا الدور تشتمل على أمور كثيرة أهمها:

أ - الخطابة الدينية، ومنها المواعظ الدينية، وهي غير خطبة الجمعة.

ب - الخطابة الحربيّة، وهي التي كان يلقيها القائد في جيشه كخطبة طارق بن زياد.

هـ - الخطابة السياسية، وهي تحسين طريقة الحزب السياسي، وتقبيح طريقة خصومه وفي مثال لها، خطب الخوارج.

---

١ - رئيف الخوري، التعريف في الأدب العربي، جـ ٢ ص ٢٢٥.

٢ - المرجع السابق، ٢/ ٢٢٦.

د – خطب الوفود، ومثالها خطب الوفود التي كانت تفد على الرسول (صلى الله عليه وسلم). وأبرز الخطباء في صدر الإسلام:

١ – الإمام علي – كرم الله وجهه ورضي الله عنه .

٢ – سحبان بن وائل المعروف ببلاغته.

٣ – زياد بن أبي سفيان.

٤ – الحجاج بن يوسف الثقفي.

٥ – طارق بن زياد[١] .

الخطابة

الخطابة فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة.

وللإقناع يجب أن يكون الأسلوب واضحاً، وذلك باستعمال الجمل القصيرة والكلمات المألوفة، والمعاني القريبة. وبإحكام الترابط المنطقي بين أفكار الخطبة وأجزائها، وتحديد الأفكار والأغراض يظهر الموضوع وحدة كاملة متماسكة.

أما الاستمالة فتعتمد على إلهاب مشاعر السامعين، وإثارة عواطفهم. ويعين على تحقيقها، جودة الإلقاء القائم على حسن الصوت، ولطف الإشارة، وقدرة الخطيب على معرفة نفسية السامعين، والضرب على الأوتار التي تثيرهم، وتستفز عواطفهم، ومراعاة الخطيب في أسلوبه حال المخاطبين، فيجدّ حين يحسن الجد، ويمزح حين يحسن المزح، ويستعمل الحقائق والتشبيهات والتمثيل والإيجاز والاطناب والمساواة في مواطنها التي تقتضيها.

أجزاء الخطبة[٢]

تقسم الخطبة إلى ثلاثة أجزاء:

١- المقدمة:

يحسن أن تكون ألفاظها ومعانيها قريبة إلى أذهان السامعين، وأن يبرز فيها عنصر التشويق، وأن يكون بينها وبين ما يليها من أغراض الخطبة ارتباط منطقي.

---

١ – المرجع السابق ٢ / ٢٢٨.

٢ – المرجع السابق ٢/ ٢٢٩.

٢ - العرض:

ويشترط فيه وحدة الموضوع؛ أي أن يدور الكلام حول مشكلة واحدة يحللها ويبيّن دقائقها. كما يشترط أن يكون ترتيب الكلام منطقياً، ويبدأ بالسهل وما يترتب عليه وهكذا.

ومن أهم شروط نجاح العرض في الخطبة:

أ - الوحدة والترتيب والترابط، وذلك أن يدور حديث الخطيب حول موضوع واحد، وأن تتسلسل الأفكار بمنطقية وترتيب، بحيث يسلم كل جزء إلى ما بعده حتى يخرج حديثه متماسكاً، متلاحم الأجزاء.

ب - الوضوح، وذلك أن يكون كلامه واضحاً، بعيداً عن اللبس والاحتمال، كما قال ثمامة بن الأشرس حينما سئل ما البيان؟ فقال: "أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلّي عن مغزاك".

٣ - الخاتمة[١]

وهي آخر ما ينتهي إلى آذان السامعين من كلام الخطيب. وكما اهتم الخطباء والنقاد العرب بالمقدمة، وعرفوا دورها في تهيئة نفوس السامعين وإعدادهم لسماع الخطبة، كذلك أوصوا بضرورة تجويد الخاتمة؛ لأنها الأثر الباقي في نفوس السامعين، وآخر ما يتردد صداه في قلوبهم.

ويمكن تصنيف ألوان الخاتمة على النحو التالي:

أ - ان تكون الخاتمة تلخيصاً للأفكار والعناصر البارزة في الخطبة وتأكيداً على موضوعها.

ب - أن تختم بآية قرآنية، تتناسب مع الموضوع. وتوجز الأفكار.

جـ - الختام، باستغفار الخطيب لنفسه وللسامعين، وهذه الخاتمة تأتي في معظم خطب الجمع، وقد وردت كثيراً في خطبهم الأخرى.

د - الختام بالدعاء، لنفسه أو للسامعين، أو للخليفة وهو ما يُتّبع في الخطب الدينية، ويشيع في غيرها.

هـ - وقد يختم الخطيب خطبته بنصح ما حذّر منه، أو رغّب فيه.

---

١ - المرجع السابق٢/ ٢٣٠.

الوحدة الأولى

نصوص مختارة من الخطب

خطب الصحابة في سقيفة بني ساعدة

خطبة عبد الله بن الزبير في فتح إفريقية

خطبة لعلي بن أبي طالب

خطب الصحابة في سقيفة بني ساعدة[1]

في جو المناسبة

كان المجتمع الإسلامي، في المدينة المنورة عشية قُبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتكون من فئتين قبليتين ساوى بينهما الإسلام، ووحد بين قلوبهما في تكتل اجتماعي واحد، ألا وهو المجتمع الإسلامي الجديد، ولكن القيم الإسلامية الجديدة لم تنفذ إلى جميع القلوب بمستوى واحد، فقد ظلت بعض النفوس يشوبها شيء من نعرات الجاهلية وعصبيتها، وكانت هذه النعرات تسكن في قلوب بعض الأنصار، وكان أصحاب هذه النعرات ينتظرون وفاة الرسول، لتكون زعامة المجتمع الإسلامي الجديد في الأوس أو الخزرج من الأنصار على قريش وغيرهم ممن وفدوا مع هجرة الدين وبعد الهجرة، من المستضعفين الذين قووا بالإسلام: واعتزوا به وأصبحوا بنعمة هذا الدين وفضله رجالاً أحراراً.

ولقد كان التسليم للأنصار بالزعامة السياسية لدولة الإسلام الجديدة ينطوي على أخطار جسيمة تحدق بهذه الدولة، فالروح القبلية لم يُقْض عليها قضاء مبرماً. والعرب الذين كانوا آنذاك قادة الدولة لا يذعنون لغير جهة تعتمد على أسس متميزة لا تُجارى، ولم تكن تلك الجهة إلا المهاجرون من قريش لأسباب عديدة يستقصيها المؤرخون. أهمها استنادهم إلى نوع من القرابة للرسول، وللأسبقية في الإسلام مع المعاناة الشديدة في حمل الرسالة، والنضال تحت لوائها من أجل نشر الدعوة والدفاع عنها.

ولم يعترف نفر من الأنصار للمهاجرين بهذه الامتيازات، وكادوا يهمّون بتنصيب واحد منهم خليفة للمسلمين، ومجابهة المهاجرين بالأمر الواقع، معتمدين على عصبيتهم، وكثرة عددهم. ووجود الدولة في مدينتهم، ولكنّ تحرك المهاجرين السريع، وسرعة المبادرة لديهم، أفسدت على متطرفي الانصار خطتهم، فأُقرّ الأمر لهم. والتفّوا على خطر الانقسام، قبل أن يستفحل، وقضوا على الفتنة في مهدها، والتفّوا الجميع حول الإسلام يحاربون خصومه من المرتدين. وينشرون رسالته في الجزيرة العربية، وينتقلون به بعد سنوات قليلة إلى خارج حدود الجزيرة في الشام والعراق ومصر.

١ – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٣٠.
٢ – محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر ٣٩٧/١.
٣ – أحمد حسن أبو عرقوب، مختارات من النثر العربي القديم، ٨ – ١٧